تلك السياسة تسير « بغير بوصلة » (ص ٧٥) ٠

وبالتعاكس مع ذلك تماما ، وبمواجهته، يتصرف قادة العدو الاسرائيلي : المزيد من الثبات والتصلب في مواقعهم والمزيد من الغطرسة : ففي صراع الشرق الاوسط : كما يقول مناحيم بيغن ـ هناك « ورقة واحدة رابحة ، وهذه الورقة هي الارض المحتلة ، وهذه الورقة في يدنا ولن نتركها لغيرنا الا على شروطنا » (ص ١٧٨) وليس امام العرب وسيلة ـ يضيف بيغن ـ « غير التوجه الى اسرائيل مباشرة وقبول ما نعرض عليهم » (ص ١٨٩) ٠ اما اذا ذهب العرب الى اسرائيل ، كما ذهب السادات ، فان بيغن يسخر بشكل مهين من ذلك في جلسة عمل مغلقة مع « مجموعة الرؤساء اليهود في الولايات المتحدة » حيث قال « كان مجيئه ـ السادات ـ بالنسبة لي انه نظر في شروطنا فاعجبته ، ومن ناحيتي فقد اعجبني ان شروطنا اعجبته » (ص ١٩٠) ٠

ان المقارنة المطولة التي يجريها هيكل بين منطق ونهج السادات ، وبين منطق ونهج اسرائيل وقادتها ، هي التي دعته الى التأشير على الانحطاط والانحدار في السياسة المصرية منذ حرب اكتوبر حتى الآن ، والتي كانت المبادرة فيها محطة « كشفت عربيا ٠٠ كشفت الافكار ٠٠ كشفت المواقف ٠٠ وكشفت القدرات » (ص ٦) ، وهي التي جعلته ايضا يتساءل ، امام الدنيا كلها ، مندهشا « هل هناك في الدنيا من يقبل بالتعامل على اساس السلام مع دولة لا تعرف حدودها ولا نعرف من هو شعبها » (ص ٢٨٧) ٠

لقد بدا هيكل وهو يعرض سياسة السادات والمبادرة التي نتجت عنها ،وكأنه يستعير منطقه والفاظه ممن كان يعارضهم من الوطنيين والتقدميين العرب والمصريين الا انه عندما يتطرق الى قضايا اخرى في احاديثه ، يبدو وكأن قوة الجذب لمعسكره ومواقفه القديمة ، كانت اقوى من قدرته في التمرد عليها ٠

المبادرة والدور الاميركي في الصراع

في تناوله للدور الاميركي والسياسة الاميركية في المنطقة ، يتخذ هيكل موقعين في النظرة اليهما : الاول ، استخدام ما يراه من « سلبيات » لتوجيه المزيد من النقد والادانة لسياسة السادات ومبادرته ٠ الثاني ، العودة للترويج للدور الاميركي في الصراع ، لـ « اقتناعه » بامكانية توجيه « الضغط » على اسرائيل ٠

من الموقع الاول ، يرى هيكل ان هدف عزل مصر واخراجها من الصراع هو هدف اميركي واسرائيلي ترافق مع بداية الصراع في المنطقة ،وقد استطاع « كيسنجر » ان يصيغ للادارة الاميركية خطورة وحيوية هذه المسألة على الشكل التالي : اذا ظلت مصر فكرة وتيارا وحركة تاريخية ، فانه سيكون في حاجة اليها لحل ازمة الشرق الاوسط ، واذا استطاع ان يحول مصر الى حدود ـ وتعداد سكان ٠٠٠ فان مصر هي التي ستكون في حاجة اليه لحل ازمة الشرق الاوسط » (ص ١٧٥) لذلك فان الكل يرى « ان اخراج مصر من حلبة صراع الشرق الاوسط يغير موازينه » (ص ١٧٧) ٠ ومن هنا فان ادراك القيادة الناصرية لهذه الحقيقة ، حال دون تحقيقها ٠

وحينما كان هيكل ، يسهب ويفصل في « المقدمات والمداخل » التاريخية للمبادرة، ويبرز ايجابيات السياسة الناصرية ـ وذاك في معرض رده على منتقديها ـ وقف متسائلا « اليس استبعاد التوازن الدولي في المنطقة يؤدي الى بعض ما نرى في المنطقة الان ، كمسرح مستباح للنفوذ